

الفصل الثاني

المنهج في تفسير الأحلام

تحليل حلم على سبيل المثال

إن العنوان الذي عرِّيتُ به هذا الكتاب يبين أى تقليد سلفي في تصور الحلم أُنزِع إلى الانتساب إليه . فالغرض الذي أضعه نصب عيني هو أن أبين أن الأحلام تقبل التفسير ، ولقد أجيء في سياق ذلك بما يعين على حل المسائل المعالجة في الفصل السابق ، ولكن ذلك لن يكون إلا فضلاً يعرض في خلال المضي إلى هدفي الخاص . وأنا إذ أزعِم أن الأحلام تقبل التفسير أراني دفعة واحدة في موقف يخالف النظرية السائدة عن الأحلام ، بل يخالف في الحقيقة نظريات الحلم جميعاً ، فيما خلا نظرية شرزر وحدها . فأن « تفسر » حلماً معناه أن تحدد له « معنى ما » ، أى أن تستبدل به شيئاً آخر ينتظم في سلك أفعالنا النفسية كحلقة لها من القيمة والشأن مثل ما لغيرها . ولكن النظريات العلمية ، كما رأيناها ، لا تترك مجالاً للحديث عن أية مشكلة تتصل بتفسير الحلم ، لأن الحلم بحسبها ليس فعلاً نفسياً على الإطلاق ، بل عملية جسمية يُنتبَه إلى وقوعها لعلامات تبلغ الجهاز النفسى . وأما رأى سواد الناس من جميع العصور فكان مختلفاً : فإنهم قد أعملوا حقهم المقرر في أن يففلوا السلامة المنطقية ، فسلموا من جهة بأن الأحلام غير معقولة ، باطلة ، دون أن يجمعوا أنفسهم مع ذلك على إعلان خلوها من كل مغزى . فهم يبدون كأن شعوراً مبهماً يقودهم إلى أن يقدروا أن لكل حلم مغزاه وإن خفى هذا المغزى ، وأن الحلم قد جعل ليحل محل عملية فكرية أخرى ، وليس علينا إلا أن نرفع هذا البديل على النحو الصحيح لكي نصل إلى ذاك المعنى الخفي .

ولهذا جهد عامة الناس منذ أقدم العصور في « تفسير » الأحلام . وهم قد اتبعوا في ذلك منهجين مختلفان اختلافاً جوهرياً . فأما أولهما فينظر إلى محتوى الحلم في مجموعه ويسعى إلى أن يستبدل به محتوى آخر معقولاً يماثل الأول من بعض الوجوه . ذلك هو التفسير الرمزي للأحلام ، وهو منهج لا يلبث أن يتضح بالضرورة عجزه حين يواجه أحلاماً تتسم

بالتشوش فوق لا معقوليتها . وقد يكون في التفسير الذي تذكره التوراة عن يوسف لحلم فرعون ، مثال على ذلك المنهج : فأن يرى فرعون سبع بقرات سمان تأكلها سبع عجاف تأتي من بعدها ، ذلك كان بديلاً رمزياً لنبوءة تبنى بسبع سنين من المجاعة في أرض مصر تأكل فائض السنوات السبع وافرة الغلة . وغالبية الأحلام المصطنعة التي يبتدعها خيال الكتاب إنما يراد بها إلى مثل هذا التفسير الرمزي ، فهي تخلع على فكرة الكاتب قناعاً يتسق وما نعلم من خبرتنا أنه سمات الحلم^(١) . واعتقاد الناس أن الحلم يشغل بالغيب أولاً ويكشف عن وجهه — وهو أثر من الدلالة النبؤية التي كانت تنسب إلى الحلم يوماً ما — هو الذي يدعو بعد ذلك إلى الانتقال بمغزى الحلم المكتشف بالتفسير الرمزي إلى الزمان المستقبل ، بإدخال « سوف » عليه .

وأما السؤال : كيف يجد المرء طريقه إلى مثل هذا التفسير الرمزي ؟ فذلك بالطبع أمر لا سبيل إلى تبيان والإرشاد له ، والنجاح فيه يظل مرهوناً بالتخمين الحاذق والحس المباشر ومن ثم أمكن أن يعلى تفسير الأحلام بالرموز إلى مرتبة النشاط الفني الذي يتطلب موهبة خاصة^(٢) . وأما المنهج الشعبي الآخر في تفسير الحلم ، فبعيد كل البعد عن مثل هذا الادعاء . وفي وسعنا أن نسميه « منهج الشفرة » ؛ لأنه يعالج الحلم كما لو كان ضرباً من كتابة سرية تمكن ترجمة كل علامة من علاماتها إلى علامة أخرى معروفة المعنى وفق مفتاح ثابت : مثال ذلك أن أحلم بخطاب ثم يجنازة ، إلخ . فاستشير كتاب الأحلام فأجد « الخطاب » يترجم إلى « نكد » و « الجنازة » إلى « خطبة » ، ويبقى على بعد ذلك أن أنشئ من هذه المقومات التي قمت بفك مغلقها على هذا النحو جملة مفيدة أنقلها من جديد إلى الزمان المستقبل . وفي كتاب أرتيميدوروس الأفسوسي عن تفسير الأحلام تعديل جرى بالاهتمام يصحح بعض التصحيح ما يتسم به منهج الشفرة هذا من طابع النقل الآلي

(١) لقد عثرت بالصدفة في رواية « جراديفا » للكاتب ف . ينزن على أحلام متعددة خلقها المؤلف خلقاً ، ولكنها كانت مع ذلك صحيحة كل الصحة في بنائها ، وأمكن تفسيرها كما لو كانت صدرت عن أشخاص حقيقيين ولم تكن من بدع الخيال . وقد ذكر لي المؤلف رداً على سؤال من جازي أنه لم يكن يعلم شيئاً عن نظريتي في الحلم . ولقد اتخذت من هذا التطابق بين مباحثي وخلق الكاتب شاهداً على صحة تحليلي للأحلام . (أنظر فرويد ١٩٠٧ أ) .

(٢) يقول أرسطو في هذا الصدد : إن أحسن مفسري الحلم هم أقدرهم على إدراك أوجه التماثل ، وذلك لأن صور الحلم تشوه بفعل الحركة مثل الصور في الماء بحيث يصيب النجاح من استطاع أن يتوسم الشكل الصحيح من وراء الصورة المشوهة (بوكستشوتس ، ١٨٦٨ ، ٦٥) .

المحض (١) . فهذا المنهج المعدل لا يحسب حساب محتوى الحلم وحده بل يدخل كذلك في تقديره طبع الحلم وملايسات حياته ، بحيث يختلف معنى العنصر الحلمى هو هو عند الغنى أو المتزوج أو الخطيب منه عند الفقير أو الأعزب أو التاجر مثلاً . والشىء الجوهرى فى منهج الشفرة على أية حال ، هو أن عمل التفسير لا يوجه فيه إلى الحلم فى جملته بل يتناول كل جزء من محتواه على حدته ، كما لو كان الحلم حجراً جيولوجياً تستوجب كل شظية من شظاياها تقديراً خاصاً . ولا شك فى أن الأحلام المختلطة المفككة هى التى أدت إلى اختراع هذا المنهج (٢) .

(١) لقد ترك لنا أرتيميد وروس الأفسوسى ، المولود فى القرن الثانى من الميلاد على الأرجح ، كتاباً فى تفسير الأحلام كما كان يعرف فى العالم اليونانى الرومانى يفوق كل ما عدها من حيث الاستيعاب وضخامة الجهد . وهو يلح فى كتابه هذا - كما يبينه جومبرتس - على ضرورة تأسيس تفسير الحلم على الملاحظة والخبرة ، ويفرق بفرقة قاطعة بين فنه وغيره من الفنون الخادعة . وأما المبدأ الذى يقوم عليه فنه التفسيرى فلا يختلف بحسب جومبرتس من مبدأ السحر : إنه مبدأ التداعى ؛ فالشىء المرأى فى الحلم يعنى الشىء الذى يرد على الذهن فى صده - وغنى عن البيان أن المراد هو ذهن المفسر لا الحالم . وإذا كان عنصر الحلم يذكر المفسر الواحد بأشياء مختلفة ، ويذكر هذا بغير ما يذكر به ذلك ، فقد كان ذلك مصدراً للحيرة والهوى لا سبيل إلى التغلب عليه . وتختلف الطريقة التى أصفها فى الصفحات القادمة من طريقة القدماء تلك الناحية الجوهرية : وهى أنها تلقى عبء التفسير على الحالم نفسه ، فهى لا تحسب حساباً لما يطرأ على بال المفسر وإنما اهتمامها بما يرد على ذهن الحالم . وتريتنا الروايات الحديثة للمبشر تفنكسجى (١٩١٣) أن مفسرى الأحلام المحدثين فى الشرق يمتثلون هم أيضاً اعتماداً كبيراً على مؤازرة الحالم ، فهو يتحدث عن مفسرى الأحلام بين أعراب ما بين النهرين قائلاً : « ولكى يفسر حلم ما تفسيراً مضبوطاً ، ترى أمهر المفسرين يسألون من يشارونهم عن جميع الملايسات التى يرون وجوب معرفتها من أجل الوصول إلى الحل الصحيح . . . وخلصاً القول هى أن مفسرينا لا يتركون كبيرة أو صغيرة تفوتهم ، ولا يدلون بالتفسير المنشود إلا بعد أن يمتلكوا الجواب عن جميع أسئلتهم تمام الامتلاك . »

["Pour interpreter exactement un songe, les oniromanciens les plus habiles s'informent de ceux qui les consultent de toutes les circonstances qu'ils regardent nécessaires pour la bonne explication ... En un mot nos oniromanciens ne laissent aucune circonstance leur échapper et ne donne l'interprétation désirée avant d'avoir parfaitement saisi et reçu toutes les interrogations désirables."]

ومن بين الأسئلة التى يوجهها المفسرون أسئلة تهدف إلى الإلمام بأوتق صلات الحالم بنوى قريبه - الولالين والزوجة والأبناء - كما تجد صيغاً محفوظة كهذه : " هل جامعت زوجك فى هايتك الليلة قبل الحلم أم بعده ؟ " ["Habuit in hac nocte copulam conjugalem ante vel post somnium"]

« هذا والفكرة المسيطرة على تفسير الأحلام تقوم فى تفسير الحلم بضده . »

["L'idée dominante dans l'interprétation des songes consiste à expliquer le rêve par son opposé."]

(٢) نهبى الدكتور ألفريد روبيتسك إلى أن كتب الأحلام الشرقية التى تعد كتبنا بموارها سرقات حرية بالرئاء كثيراً ما تستند فى تفسير عناصر الحلم إلى ما بين الألفاظ من الاتفاق فى الجرس أو التماثل . وضياح هذه العلاقات ضياحاً محتوماً عند الترجمة هو الذى يعلل استغراق بعض التفسيرات التى نجدها فى كتب الأحلام الشائمة بيننا . ويجد القارئ فى مؤلفات هوجو فينكلر زمزيدا من المعلومات عن القيمة الخارقة التى تملقها المنذيات الشرقية

ولسنا نستطيع أن نشك برهه في أن هذين المنهجين الشعبيين في تفسير الأحلام لا يمكن استخدام أى منهما في معالجة الموضوع معالجة علمية ؛ فالمنهج الرمزي محدود التطبيق ولا يمكن شرحه على أسس عامة ، وأما منهج الشفرة فكل شيء يتوقف فيه على إمكان الثقة « بالفتاح » ، أى كتاب الحلم ، وهنا يعوزنا كل ضمان . وهكذا قد يغري المرء بأن يسلم بأن الحق للفلاسفة وأطباء النفس ، فيمحو معهم مشكلة تفسير الحلم محو ، باعتبارها مشروعاً خيالياً محضاً^(١) .

بيد أنني قد تعلمت ما هو خير من ذلك ؛ فإني لم أجد بداً من أن أدرك أننا نواجه هنا مرة أخرى حالة من هذه الحالات غير النادرة التي يبدو فيها اعتقاد شعبي قديم قدم الزمن ، لا تتزعزع عنه النفوس أقرب إلى حقيقة الأمور من الحكم السائد اليوم في دنيا العلم . ولزام على أن أؤكد أن الحلم له في الحقيقة معناه وأن من الممكن أن يكون تمت منهج علمي لتفسيره . وأما معرفة هذا المنهج فقد أتيت إليها من ذلك الطريق :

لقد شغلت سنوات طويلاً بتحليل بعض التراكيب النفسية المرضية ، مثل المخاوف المستيرية والأفكار القهرية وما شاكلها ، مستهدفاً في ذلك علاجها . وشغلت بها على التحديد منذ أن علمت من كلمة هامة ليويسف بروير أن هذه التراكيب التي تعد أعراضاً مرضية — يتطابق فيها التحليل والحل^(٢) . (أنظر بروير وفرويد ، ١٨٩٥) .

القديمة على التورية واللعب اللفظي . وعلى مثل هذا اللعب يقوم أجمل مثال على تفسير الحلم انحدر إلينا من الأزمنة القديمة ، وهو مثال يرويه أرتيميدوروس إذ يقول (ص ٢٥٥) : « ويخيل إلى كذلك أن أريستا ندروس قد وفق أحسن التفويق في تفسير حلم الإسكندر المقدوني . فبينما كان هذا الأخير يحاصر مدينة تيروس [صور] وقد هاجه طول الحصار وأقلقه ، رأى في المنام ساتيروس [كائن أسطوري] يرقص على درعه . واتفق أن كان أريستاندروس قريباً من صور ، فقد كان في معية الملك أثناء حملته على السوريين ، فأمكنه بتقسيم كلمة ساتيروس إلى sa [سا = لك] و Tyros [تيروس = صور] أن يحث الملك على الاستيلاء في الحصار حتى استولى على المدينة . — والحق أن الرابطة بين الحلم والتعبير اللغوي قوية إلى درجة دعت فرنتسي إلا أن يلاحظ بحق أن لكل لسان لغته الحلمية الخاصة ، بحيث يستحيل بوجه عام أن يترجم الحلم إلى لغة أخرى . ولا أخال إلى أن الأمر كذلك في كتاب مثل هذا الكتاب ، بيد أن الدكتور أ . أ . بريل ، من مدينة نيويورك ، وآخرين من بعده ، قد أفلحوا مع ذلك في ترجمة « تفسير الأحلام » .

(١) لقد عثرت بعد أن فرغت من هذا الكتاب على مقال كتبه ستومف اتفقت فيه آراؤه مع ما أرى إليه من التليل على أن للحلم معناه وأنه يقبل التفسير . بيد أنه يجري تفسيراته بالاستعانة برمزية ذات طابع استعاري تمثيلي ، دون أن يكون تمت أقل دليل على جواز منهجه بوجه عام .

(٢) [Auflösung und Lösung] — والمراد هو أن الكشف عن سر هذه الحالات لا يفتقر من علاجها .

فإن أمكن اقتفاء فكرة مرضية من هذا القبيل حتى العناصر التي نشأت منها هذه الفكرة في حياة المريض النفسية ، ابحث الفكرة وخلص المريض منها . وإزاء العجز الذي لمست في جهودنا العلاجية الأخرى ، وإزاء الطابع الملغز الذي تتسم به هذه الاضطرابات ، رأيتني أغرى بالمضى في الطريق الذي دلني إليه بروير على الرغم من كل صعوبة ، حتى ينجلي الأمر كاملاً . وسوف يتسنى لي في مناسبة أخرى أن أفصل الكلام في الصورة التي اتخذها هذا المنهج أخيراً وفي النتائج التي انتهت إليها جهودي . وإنما أقول الآن : إنني إنما التقيت بتفسير الأحلام في خلال هذه المباحث التحليلية النفسية . ذلك أن مرضاي ، بعد أن أستعهد منهم الإقضاء إلى بكل فكرة أو خاطر يعين لهم ، كانوا يقصون على أحلامهم ضمن ما يقصون ، وهكذا تعلمت منهم أن الحلم يمكن إدراجه في السلسلة النفسية التي يجب اقتفاء أثرها في الذاكرة ابتداء من الفكرة المرضية . ومن هذا إلى أن يعامل الحلم نفسه معاملة العرض وأن يطبق عليه ذات المنهج التفسيري الذي أحكم تدبيره للأعراض — لم يكن أمد بعيد .

وهذا العمل يقتضى بعض الإعدادات السيكولوجي للمريض . فنحن نهدف معه إلى أمرين : زيادة انتباهه إلى مدركاته النفسية ، وتعليق ملكة النقد التي اعتاد أن ينخل بها ما ينبعث من أفكاره . ولكي يتمكن المريض من تركيز انتباهه في الملاحظة الذاتية فمن الخير له أن يستلقي في وضع هادئ ويغمض عينيه ، وعلينا أن نطلب منه صراحة الإقلاع عن كل نقد للأفكار التي يدركها ، ونخبره أيضاً أن نجاح التحليل مرتين بملاحظته كل ما يدور برأسه وروايته إياه دون أن ينقاد إلى قمع هذا الخاطر من خواطره لأنه يبدو له خالياً من الشأن أو خارجاً عن الموضوع ، أو إلى قمع ذلك لأنه يبدو له غير معقول . فعليه أن يقف تجاه خواطره جميعاً موقف الحياد التام ؛ لأنه إذا كان لا يوفق عادة إلى الإيضاح المنشود للحلم أو الفكرة القهرية أو ما إليهما ، فالإخفاق مرده هذا الموقف النقدي على التحديد .

ولقد لاحظت في خلال عملي التحليل النفسي أن الوضع النفسي للمرء وهو يفكر يغير كل المغايرة وضعه وهو يلاحظ عملياته النفسية . فالتفكير يتضمن نوعاً من النشاط النفسي يزيد على المتضمن في الملاحظة الذاتية ، مهما بذل المرء في هذه من الانتباه ، وبهذا تشهد — بين سائر الشواهد — هيئة المفكر المتوترة وجهته المتعددة ، على تقيض التعبير الساكن لمن

يلاحظ نفسه . ففي كلا الحالين يلزم تركيز الانتباه ، ولكن من يفكر يعمل ملكة النقد فوق ذلك : ينحى بعض خواطره بعد أن يدركها ويقتضب بعضها الآخر دون أن يتابع مسالك الفكر التي كانت توحى بها . ثم هو يعرف كيف يسلك حيال فريق ثالث منها مسلماً لا تبلغ معه إلى الشعور البتة ، فتجمع قبل أن تدرك . وأما الذي يلاحظ نفسه ، فليس عليه إلا أن يجمع ملكته النقدية . فإن أفلح ، تواردت إلى شعوره أفكار لا حصر لها ما كان ليجتازها بغير ذلك . وبهذه المادة المكتسبة حديثاً لإدراكه الذاتي على هذا النحو يمكن تفسير أفكاره المرضية وتراكيبه الحلمية على السواء . فالمسألة كما نرى هي أن تقيم حالة نفسية تماثل بعض المماثلة تلك التي تسبق النوم (وتماثل أيضاً حالة التنويم المغناطيسي من غير شك) ، من حيث توزيع الطاقة النفسية – أعنى توزيع الانتباه المتحرك . فقبيل النوم تنبث « أفكار لا إرادية » ، نتيجة لاسترخاء نشاط إرادي معين (هو أيضاً نشاط نقدي ما في ذلك من شك) كنا نتركه يؤثر في مجرى أفكارنا ونحن مستيقظون . وأما سبب هذا الاسترخاء ، فنقول عادة : إنه « التعب » . وتستحيل هذه الأفكار اللاإرادية المنبثثة [قبل النوم] إلى صور بصرية وسمعية (أنظر ملاحظات شلاير ماخر وغيره فيما سبق ، ص ٨٤ وما بعدها .)^(١) وأما في الحالة المستخدمة لتحليل الأحلام والأفكار المرضية ، فيترك المرء هذا النشاط تركاً مقصوداً متعمداً ، ثم يعمل الطاقة النفسية المدخرة على هذا النحو (أو يعمل جزءاً منها على الأقل) في الانتباه المتصل إلى الأفكار اللاإرادية التي تأخذ الآن في الانبعاث ، والتي تظل – وهنا الفرق بين هذه الحالة وحالة الأخذ في النوم – محتفظة بطابع الأفكار . وهكذا تحول الأفكار

« اللاإرادية » إلى أفكار « إرادية » .

ويبدو أن هناك كثيراً من الناس لا يسهل عليهم الوقوف الموقف المطلوب حيال الأفكار المنبثثة « إنبعاثاً حراً » في ظاهره ، واطراح النقد الذي ألفوا ممارسته إزاءها . فن شأن « الأفكار اللاإرادية » أن تحرك مقاومة عنيفة في الغاية ، تهدف إلى الحيلولة دون انبعاثها . ومع هذا فالخلق الشعري نفسه لا بد يتضمن موقفاً يماثل الذي نصفه كل مماثلة – هذا إذا أولينا التصديق شاعرنا وفيلسوفنا العظيم فردريك شيللر . فهو في فقرة من رسائله إلى كورنر

(١) لقد أتى سيلبرر بنتائج هامة في تفسير الحلم ، وذلك بملاحظة هذا التحول للأفكار إلى صور ملاحظة

مباشرة (١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، ١٩١٢) . [أنظر « الظاهرة الوظيفية » في الفهرست التحليلي .] .

يرجع فضل الكشف عنها إلى أوتورانك ، يرد على شكوى صديقه من افتقاره إلى القدرة الخالقة فيقول : « أعتقد أن السبب في شكواك يرجع إلى استبداد عقلك بخيالك ، وسأضرب لمعناى بتشبيه يمثله لك : فإن العقل إذا غالى في إكتساب النظر إلى الأفكار التى ترد عليه كأنه واقف لها بالمرصاد وهى لا تزال على الأبواب - إن جاز هذا التعبير - لم يكن فى ذلك نفع بل لعله يعرقل عمل النفس الخالقة . فالفكرة إن أخذتها على حدة قد تبدو تافهة كل التافهة ، غريبة أقصى الغريبة ، ولكن أخرى قد تتلوها فإذا هى ذات شأن ، أو هى قد ترتبط بأفكار غيرها تلوح فى مثل سخفها فإذا هى الحلقة المفقودة ؛ فما يستطيع العقل أن يحكم على الكل إذا هو لم يمسك بالفكرة أمداً كافياً ليتأملها مقرونة بأخرىاتها . وأما الذهن الخالتي - فيما يهيا إلى - ففيه على العكس يرفع العقل الحراسة عن الأبواب ، تاركاً الأفكار تهجم شدر مذر ، وعندئذ - وعندئذ فقط - يأخذ فى النظر إليها وفحصها مجتمعة . وأما أنتم يا حضرات النقاد - أو أيا كان الاسم الذى يجلو لكم - فتستحيون - أو ترهبون - هذا الجنون العابر الموقوت الذى يعرفه كل خالتي حقيقى ، والذى يفرق طول أمده أو قصره بين الفنان المفكر والحالم . ومن ثم شكواكم من العقم ، فأنتم تنبذون سريعاً وتفرقون عسفاً . » (خطاب الأول من ديسمبر ١٧٨٨) .

ومع هذا فما يسميه شيلار « رفع الحراسة عن أبواب العقل » ، أى التحول إلى حال من الملاحظة الذاتية التى لا يشوبها إعمال النقد ، ليس على الإطلاق بالأمر المتعذر . فعظم مرضاى يوقفون إليه بعد سماع إرشاداتى الأولى ، وأنا نفسى أقوم به على أوفى وجه إذا استعنت فى خلاله بتدوين الخواطر التى تعن لى . ويتفاوت مقدار الطاقة النفسية التى تنقص من النشاط النقدى وتزداد بها شدة الملاحظة الذاتية تفاوتاً ضخماً بحسب الموضوع الذى يراد تثبيت الانتباه عليه .

وتعلمنا الخطوة الأولى فى استخدام هذا المنهج أننا لا نستطيع أن نتخذ الحلم فى مجموعه موضوعاً للانتباه ، وإنما الأجزاء المتفرقة محتواه . فلو سألت مريضاً لم يزل حديث العهد بالمنهج : ما الذى يخطر له فى صدد هذا الحلم ؟ ، لم يجد فى العادة شيئاً يدركه فى حقله النفسى . فإن قسمت له الحلم أجزاء أمكنه أن يدلى فى صدد كل جزء بطائفة من المستدعيات يجوز لنا وصفها بأنها « الأفكار المستترة » وراء هذا الجزء . وهكذا يختلف منهج التفسير الذى أزاوله من المنهج الشعبى التاريخى الطائر الذكر ، منهج التفسير بواسطة الرموز ،

من هذه الوجهة الهامة الأولى ، ويقرب من المنهج الثاني « منهج الشفرة » : فهو - كهذا الأخير - يفسر الحلم جزءاً فجزءاً وليس جملة ، وهو - مثله - يعد الحلم منذ البداية شيئاً مركباً ، مجتمع مكونات نفسية شتى .

ولقد فسرت في خلال اشتغالي بالتحليل النفسى للعصابيين ما يربو على ألف الحلم ، ولكنى لا أريد أن أستخدم هذه المادة في التمهيد الحاضر إلى طريقة تفسير الحلم ونظريته . فهناك - بغض النظر عن كون استخدام هذه الأحلام يعرضني لقول المعترض : إنها أحلام عصابيين لا تجوز النتائج المستخلصة منها على أحلام السويين - وهناك بغض النظر عن ذلك سبب آخر يفرض على هذا الامتناع ؛ فن الطبيعي أن يكون الموضوع الذى تسوق إليه أحلام مرضاى هو دائماً تاريخ المرض الكامن وراء أعصابهم ، لذلك كان كل حلم من أحلامهم يستلزم تمهيداً مسهباً وغوصاً في طبيعة الأعصاب وشروطها العلية ، وهذه في ذاتها مسائل ذات جدة ، محيرة إلى أقصى مدى ، فقد تصرف الانتباه عن مشكلات الأحلام ، بينما أريد على العكس أن أتخذ تحليل مشكلات الحلم ذريعة إلى حل المشكلات السيكولوجية للأعصاب - وهى الأشد صعوبة . فإذا أغفلت الآن مادتي الرئيسة - أعني أحلام العصابيين - لم يعد لي أن أتصعب في الاختيار بين ما يتبقى ؛ فما تبقى سوى أحلام من قبيل ما يرويه لي بين الحين والحين أشخاص سويون بين معارفى ، أو من قبيل تلك المسافة على سبيل المثال في المصنفات الموضوعية عن الحياة الحاملة . ولكن هذه الأحلام جميعاً لا تصطحب لسوء الحظ بالتحليل الذى لا أستطيع بدونه أن أكتشف معنى الحلم . فنهجى من غير شك ليس له يسر منهج الشفرة الشعبى ، حيث يترجم كل جزء من محتوى الحلم وفق مفتاح ثابت ، بل أنا أتوقع على العكس أن يكن ذات المحتوى معنى يختلف باختلاف الناس أو الملابس . وهكذا أساق إلى أحلامي نفسى من حيث هى مادة وفيرة صالحت عن شخص قريب من السواء ، تتصل بوقائع متعددة الألوان من حياة كل يوم . ولا مرية في أن البعض سوف يتشكك في إمكان الثقة بمثل هذه « التحليلات الذاتية » ، وسوف أسمع أن مثل هذه التحليلات لا تتجنب الهوى . بيد أنى أعتقد أن الأوضاع قد تكون في الحقيقة أعون على ملاحظة الذات منها على ملاحظة الغير . ومهما يكن من أمر ، فلم لا نحاول أن نرى إلام نستطيع المضى في تفسير الحلم بوساطة التحليل الذاتى ؟ وهناك عدا ذلك صعوبات أخرى يتحتم على التغلب عليها ، صعوبات ألقيا هذه المرة في داخل

نفسى : فبالإنسان نفور طبيعى يصده عن الإفراط فى البوح بسرائر نفسه ، ولا هو يضمن أن الغرباء لن يسيثوا التأويل . ولكن لا بد للمرء من أن يستطيع التغلب على مثل هذه الصعوبات . ولقد قال دلبوف : « من الواجب على كل عالم نفسى أن يفضى حتى بمواطن ضعفه ، إذا اعتقد أنه يلقي بذلك بعض الضوء على مشكلة غامضة . » (١) ثم إنى أقدر أن القارئ أيضاً لن يلبث أن يزول اهتمامه الأول بالأمر الذى أرانى مضطراً إلى الإفشاء بها ، ليحل محل هذا الاهتمام اشتغال مانع بالمشكلات التى يعين هذا الإفشاء على حلها (٢) . وعلى ذلك أمضى فأنتخب حلماً من أحلامى وأوضح طريقى فى التفسير بتطبيقها عليه ولكن كل حلم من هذا القبيل يستلزم بعض التمهيد . فلزام على الآن أن أسأل القارئ أن يجعل مشاغلي مشاغله فترة ، وأن ينغمس معى فى أدق تفاصيل حياتى ؛ فمثل هذا التحويل أمر يقتضيه اهتمامنا بالمعنى الخبيء للأحلام اقتضاءً آمراً .

تمهيد

كنت فى صيف عام ١٨٩٥ أعالج بالتحليل النفسى سيدة فى مقتبل العمر كانت تربطها بى وبأسرتى صداقة وثيقة . وفهم أن من شأن مثل هذا التداخل فى العلاقات أن يثير كثيراً من المشاعر المضطربة فى نفس الطبيب ، وبخاصة إذا كان طبيباً نفسياً . فاهتمام الطبيب الشخصى يزيد ، لكن سلطته تقل . فإن أخفق ، كان فى ذلك ما يهدد صداقته القديمة بنوى المريض . بيد أن العلاج كان قد انتهى فى هذه الحالة إلى نجاح جزئى ؛ فقد برئت المريضة من هيلتها الهستيرية ، لكن دون أن تبرا من جميع أعراضها الجسمية . وكنت فى ذلك الحين لا أعلم بعد علم اليقين ما هى المعايير التى تدل على انتهاء التاريخ المرضى لحالة من حالات الهستريا انتهاء لا رجعة بعده ، وكنت قد اقترحت على المريضة حلا بدا لها غير مقبول . وبين هذا الخلاف أوقفنا العلاج ؛ لإجازة فصل الصيف . وفى ذات يوم زارنى زميل يصغرنى سناً ، وهو أيضاً صديق من أقرب الأصدقاء إلى . وكان قد حل

(١) [“Tout psychologue est obligé de faire l'aveu même de ses faiblesses s'il croit par

là jeter du jour sur quelque problème obscur.”]

(٢) ولا أنسى مع هذا أن أقيد هذا القول فأضيف أننى لم أكد أورد ولو مرة كل التفسير الذى أعرفه لحلم

واحد من أحلامى . وأغلب الظن أنى كنت مصيباً حين اقتصدت فى الثقة بتصون القارئ .

ضيفاً على المريضة - إرما - وعائلتها في مقرهم الصيفي ، فسألته عن حالها ، فأجابني :
 « حسنة ، لكنه ليس الحسن كله . » وأعلم أن كلمات صديقي أوتو - أو نبرات صوته حين
 إلقاءها - قد ضايقتنى ؛ فقد خيل إلىّ أني أسمع فيها لوماً : كأن أكون وعدت المريضة
 بأكثر مما استطعت . وكان أني عزوت - سواء مصيباً أم مخطئاً - ما توهمته من تعصب
 أوتو علىّ إلى تأثير أهل المريضة الذين لم ينظروا قط بعين الرضا إلى علاجي - أو هكذا
 كان يتسرب إلى ظني . ولم يكن هذا الانطباع المؤلم واضحاً لي على أية حال ، كما أنني لم
 أبد ما يعرب عنه . وفي مساء ذلك اليوم كتبت تقريراً في تاريخ مرض إرما ، كنت أنوي
 إعطائه إلى الدكتور م . (وهو صديق مشترك كان في ذلك الوقت صاحب الكلمة
 المسموعة بيننا) ، كأنما كنت أريد أن أبرئ نفسي . ثم في الليل (أو في الصباح المبكر
 على الأرجح) حلمت بهذا الحلم الذي بادرت إلى تدوينه عقب اليقظة مباشرة ^(١) .

حلم ليلة ٢٣ - ٢٤ من يولييه ١٨٩٥

قاعة كبيرة - ضيوف كثيرون ونحن نستقبلهم . - بينهم إرما ، أبادر إلى الانتباه بها جانباً ، كأنما
 أريد أن أرد على خطابها ، أن ألومها على كونها لم تقبل « الحل » ^(٢) بعد . أقول لها : إذا كنت مازلت
 تتألمين ، فالذنب في الحقيقة ذنبك وحدك . - تجيبني قائلة : لو علمت أية أوجاع أحسها الآن في الحلق
 والمعدة والبطن ، إنها تخنقني - أفزع وأفطر إليها . إنها تبدو شاحبة منتفخة ، أحدث نفسي : لا بد أن
 تمت شيئاً عضوياً أغفلته . أخذها إلى جوار الناظفة وأنظر في حلقها . حينئذ تبدي بعض المائعة ، شأن
 النساء اللاتي يحملن أسناناً صناعية . أقول لنفسي : وما بها مع هذا من حاجة إلى ذلك . - عندئذ يفتح
 فها كما ينبغي ، فأرى بقعة كبيرة بيضاء ^(٣) على الجانب الأيمن ، وفي موضع آخر أرى قشوراً كبيرة ذات لون
 رمادي يضرب إلى البياض ، انتشرت فوق زوائد متجمدة ، غريبة الشكل ، كان من الجلب أنها قد صيغت على
 فرار الخياشيم الأنفية . - أستدعي الدكتور م . على الفور ، فيعيد الفحص ويؤيده . . . إن الدكتور م .
 يبدو مختلفاً من نفسه كل الاختلاف ؛ فهو شاحب جداً ، يعرج في مشيته ، حليق الذقن . . . الآن يقف
 بجانب صديقي أوتو كذلك ، وصديقي ليوبولد ينقر صدرها من فوق الصدر ويقول : إن تمت منلقة صماء
 على الجانب الأيسر إلى أسفل ، ثم ينبه أيضاً إلى رقعة مرتشحة من الجلد على الجانب الأيسر (وهو ما ألخظه
 مثله على الرغام من الرداء) . . . يقول م . : لا شك في أن هذه العدوى ، ولكن هذا ليس بشيء ؛ فسوف تعقب
 الالتهاب وينطرد السم . . . إننا نعلم أيضاً علماً مباشراً من أين نشأت العدوى . فقد حقنها صديقي أوتو
 منذ قريب ، وقد سادت صحتها يوماً ، حقنة من مركب من البروبييل . . . بروبيلين . . . حامض البروبيويك . . .
 تريمتيلامين (وهنا أرى المادلة الخاصة بتكوين هذه المادة الأخيرة مطبوعة أمامي بحروف سمكية) . . . إن
 مثل هذه الحقن لا يقدم عليها المرء بمثل هذه الخفة ، وأغلب الظن أن الحقنة لم تكن نظيفة كذلك .

(١) ذلك هو أول حلم حللته تحليلًا مستفيضاً .

(٢) ["Losung" ، ويعني أيضاً " المحلول " .]

(٣) [أسقطت كلمة " بيضاء " من طبعة سنة ١٩٤٢ وحدها وهو إسقاط مرجعه السهو من غير شك .]

إن لهذا الحلم ميزة على أحلام كثيرة غيره : فنحن نرى على الفور بأى أحداث اليوم السابق يرتبط وأى موضوع يعالج . فالكلمة التي مهدت له بها تأتي في ذلك بالبيان : فالأنباء التي حملها إلى أوتو عن حالة إرما ، وتاريخ مرضها الذي انهمكت في تحريره إلى ساعة متأخرة من الليل قد ظلا يشغلان نشاطي النفسى حتى بعد أن نمت . ومع هذا يعجز من ألم بالتمهيد وبمحتوى الحلم عن أن يحذر معناه . ولا كنت أنا نفسى أعلمه . فأنا أعجب للأعراض التي تشكوها إرما في الحلم ؛ فهي غير الأعراض التي من أجلها عاجلتها . وأما هذه الفكرة الجوفاء ، عن حقنة مركبة من حامض البروبيونيك ، وكذلك كلمات العزاء الموضوعية على لسان الدكتور م . ، فكل هذه تدعوني إلى الابتسام . ثم إن الحلم يبدو لى في نهايته أكثر إبهاماً وكثافة منه في أوله . ولا بد ، لكى أعرف معنى هذا كله ، من أن أعقد العزم على تحليله تحليلاً دقيقاً .

التحليل

القاعة - ضيوف كثيرون ، ونحن نستقبلهم . كنا نقضى ذلك الصيف فى بلثى (١) فى منزل منعزل قام على أحد التلال الملتحفة بالكالنبرج . وكان قد قصد فى بناء هذا المنزل إلى أن يكون مكاناً للهو ، ولهذا كانت به غرف تخرج عن المألوف فى علو أسقفها ، أشبه بالقاعات . وفى بلثى أيضاً وقع لى هذا الحلم ، وكان وقوعه يسبق عيد ميلاد زوجى بأيام معدودات . وكانت زوجى قد ذكرت لى فى اليوم الذى سبق الحلم أنها تتوقع أن يزورنا عدد من الأصدقاء - بينهم إرما - يوم عيد ميلادها هذا . فالحلم إذن يسبق إلى هذا الموقف : إنه عيد ميلاد زوجى ، ونحن نستقبل ضيوفاً كثيرين - ومن بينهم إرما - فى القاعة الرجة بمنزل بلثى .

أولم إرما حل كونها لم تقبل الحل ، أقول لها : إذا كنت ما زلت تتألمين ، فالنوب فى الحقيقة ذنبك وحده . لقد كان من الممكن أن أقول لها هذا الكلام فى حياة اليقظة ، أو قد أكون قلته فعلاً . فقد كان من رأيى فى ذلك الوقت (وهو رأى عرفته خطأه فيما بعد) أن مهمتى تقف عند إطلاع المريض على المعنى المستتر لأعراضه ، فأما أن يقبل المريض هذا الحل

(١) [مصيف على مشارف فيينا .]

أو ألا يقبله، فأمر لا شأن لي فيه — وإن كان النجاح مرهوناً به . ولقد كان من فضل هذا الخطأ علىّ (وإن أكن صحته اليوم لحسن الحظ) أنه هون على الحياة في وقت كان من المفروض فيه ن أظفر بنتائج علاجية ناجحة مع جميع ما كنت عليه من جهل محتوم . — بيد أني ألحظ من العبارة التي أتحدث بها في الحلم إلى إرما أنني إنما أريد قبل كل شيء أن كون بريئاً من ذنب الآلام التي لا تزال تعانينا : إذا كان الذنب ذنبها ، لم يكن ذنبي . أنلتمس هدف الحلم في هذا الاتجاه ؟

شكايات إرما : أوجاع في الحلق والبطن والمعدة ، كانت تختفها . كانت آلام المعدة بين أعراض مريضتي ، لكنها لم تكن من أعراضها البارزة ، بل كان معظم شكواها من أحاسيس بالغثيان والاشمئزاز . وأما آلام الحلق والبطن وانقباض الحلق ، فلم يكذب يكون لها نصيب في مرضها . وإني لأعجب لم قررت أن أختار هذه الأعراض في الحلم . بيد أني لا أعلم سر ذلك الآن .

إنها تبدو شاحبة منتفخة . لقد كانت مريضتي متوردة اللون دائماً . إني ليساورني الشك في أن يكون شخص آخر قد حل محلها هنا .

أفزع إذ أفكر في أنني ربما كنت أغفلت مرضاً عضوياً ما . إن من السهل أن نصدق أن مثل هذا الإغفال مصدر هيلة لا تنقطع عند طبيب متخصص لا يكاد يرى غير العصبيين وصار من عاداته أن ينسب إلى المستريا عدداً كبيراً من الأعراض التي يعالجها الأطباء الآخرون معالجة الأمراض العضوية . وهناك من ناحية أخرى شك خافت أخذ يتسرب إلى نفسي — من أين ؟ لا أدري — هو الشك في أن يكون فزعي هذا فزعا صادقا كل الصدق : إذا كانت آلام إرما ذات أصل عضوي ، لم أكن — مرة أخرى — مستولاً عن شفائها ؛ فعلاجي إنما يزيل الآلام المسترية . وهكذا يخطر لي أنني ربما كنت في الحقيقة راغباً في أن يكون ثمت خطأ في التشخيص ؛ فحينئذ يزول عني أيضا اللوم على الإخفاق .

أخذنا إلى جوار النافذة لكي أنظر في حاقها . تبدى بعض المانعة شأن النساء اللاتي يحملن أسناناً صناعية ، أقول لنفي : وما بها مع هذا من حاجة إلى ذلك . لم يعرض قط في علاج إرما ما يدعو إلى فحص تجويف فيها . وإنما يذكرني ما يقع في الحلم بفحص آخر أجرته منذ وقت ما : كانت المريضة مريية تبدو للزهلة الأولى صورة من صور الجمال الغض ، فلما وجب أن تفتح

فاها ، أخذت تحتاط لكى تخنى « طقم » أسنانها . ويسوفنى ذلك إلى ذكريات أخرى عن الفحوص الطبية وما تكشف عنه من أسرار صغيرة لا تسر طبيبا ولا مريضا . وأما قولى : وما بها مع هذا من حاجة إلى ذلك ، فيبدو للوهلة الأولى إطرأ لإرما ، بيد أنى أتصور له معنى آخر عدا ذلك — وإن المرء إذا عمل انتباهه فى أثناء التحليل ، أحس أهو استنفد كل الأفكار المستترة التى يصح له توقعها أم لا . ثم إن الوضع الذى اتخذته إرما وهى واقفة إلى جوار النافذة يذكرنى فجأة بواقعة أخرى : فقد كانت لإرما صديقة حميمة كنت أكن لها أكبر التقدير ، ثم اتفق أنى زرتها ذات مساء فوجدتها واقفة إلى جوار النافذة فى الوضع الذى أعاده الحلم ، وقال طبيها — وكان الدكتور م . عينه — إنها تشكو من غشاء دفتيرى . إن شخص الدكتور م . يظهر من جديد فى الحلم ويظهر أيضا الغشاء . وهنا يخطرلى أننى فى الأشهر القليلة الأخيرة قد دعتنى كل الأسباب إلى أن أقرض أن هذه السيدة الأخرى إنما تشكو كذلك آلاما هسترية . لا ، بل إن إرما نفسها قد كشفت ذلك لى . ولكن ما الذى أعلمه عن حالها ؟ شىء واحد على التحديد : وهو أنها تشكو اختناقا هستريا ، شأن إرما فى الحلم . وأنا إذن فى الحلم قد استبدلت بإرما صديقتها . ويحضرنى الآن أنى كثيرا ما داعبنتى تلك الفكرة : أنها أيضا — أعنى صديقة إرما — قد تسألنى يوما الخلاص من أعراضها . على أنى كنت أقلر فى الوقت نفسه أن هذه فكرة بعيدة عن الاحتمال ؛ لما كان بطبع هذه السيدة من شدة التحفظ : إنها تمنع مثل إرما فى الحلم . وسبب آخر لموقفها : وهو أنها لم تكن بحاجة إلى ذلك ؛ فهى فى الحقيقة قد أبدت حتى هذه اللحظة قدرة كافية على مغالبة ما بها من غير حاجة إلى عون خارجى . وتبقى بعد ذلك بضع ملامح لا أستطيع إسنادها إلى إرما أو صاحبها : شاحبة ، متنفخة ، أسنان زائفة . فأما الأسنان الزائفة فتذهب إلى المربية التى سبق أن ذكرتها ، وأشعر الآن أننى أستطيع أن أكتنى بهذا القسط فى باب الأسنان الردية . وأفكر بعدئذ فى شخص آخر قد يكون فى هذه الملامح ما يوبى إليه : إن التى أعنى لم تكن أيضا بين مرضاى ، ولا كنت أحب أن أكون طبيها ؛ فقد لاحظت منها تحرجا شديدا فى محضرى ، ولا أظنها كانت تكون مريضا سهل القيادة . إنها كانت شاحبة اللون عادة واتفق حينما أن بلغت صحتها أوجها فكانت تلوح بمثلثة^(١) . وهكذا أقارن إرما فى

(١) ربما كان من الممكن أن نرد إلى هذا الشخص الثالث أيضا شكوى آلام البطن التى بقيت من غير =

الحلم بشخصين آخرين ما كانا هما أيضا لإليديا ممانعة في العلاج لو قد أخذنا فيه . فأى داع دعاني أن أبدل بإرما صديقتها ؟ لعله أتى كنت أرغب في هذا التبديل فعلا ؛ إما لأن الأخرى كانت تحرك في نفسى انعطافا أكبر إليها أو لأنى كنت أرفع تقديرا لذكائها ؛ فقد كنت أراه حمقا من إرما أنها لم تقبل الحل . فأما الأخرى فكانت تكون أكثر فطنة ومن ثم أسرع استسلاما ، حيثئذ كان يفتح الفم كما ينبغي : إنها كانت ستفضى إلى بأكثر مما أفضت به إرما^(١) .

ما أراه في الحلق : بقعة بيضاء وخياشيم عليها قشور . إن البقعة البيضاء تذكرنى بالدفريا ومن ثم بصديقة إرما . ولكنها تذكرنى أيضا بالمرض الذى أصاب ابنتى منذ عامين على التقريب وبكل الحزاع الذى عانته في هذه الأيام التعسة . وأما القشور المنتشرة على الخياشيم فتذكرنى بقلق يساورنى على صحتى نفسى . فقد كنت في هذه الأيام أكثر من استخدام الكوكايين لأخفف به تورما أنفيا ممضا ، وكنت سمعت قبل الحلم بأيام قلائل أن إحدى مرضاى حذت حذوى فأصابها نكروز واسع النطاق في الغشاء الأنفى المخاطى . ولقد كنت أول من أوصى باستعمال الكوكايين في سنة ١٨٨٥^(٢) ، وجرت على هذه التوصية ملائم خطيرة . ثم إن الإفراط في استعمال هذا الدواء قد عجل بموت صديق عزيز على ، وكان موته قبل سنة ١٨٩٥ .

استدعى الدكتور م . على الفور ، فعيده الفحص ويؤيده . ذلك ما يتفق ومكانة الدكتور م .

بيننا . غير أن « على الفور » هذه تستلفت نظرى ، بحيث يقتضى أمرها إيضاحاً

= إيضاح . وغنى عن البيان أن هذا الشخص الثالث كان زوجى نفسى ، وتذكرنى آلام البطن بمناسبة لحظت فيها تحرجها . ولا أجد مفرأ من أن أصرح نفسى بأنى لا أحسن في هذا الحلم إلى إرما ولا إلى زوجى . ولكن قد نلاحظ على سبيل المَعذرة أنى إنما أقارنها بمثال المريضة الشجاعة الطيبة .

(١) إنى أحس أنى لم أوصل تفسير هذا الحلم حتى أتأثر كل معنى خبوء ، ولو أتى أردت أن أوصل المقارنة بين النساء الثلاث للنهب في ذلك مذهبا بعيدا . - إن في كل حلم موضعا واحدا على الأقل يخفف فيه قراره ، سره - إن جاز التعمير - يرتبط منها بالمجهول .

(٢) [هذا خطأ لم يصححه فرويد في أى من الطبقات الثباتى التى ظهرت في حياته . والصحيح أنه أوصى باستعمال الكوكايين في مقال نشر له عام ١٨٨٤ . ولقد يدرك المرء سر هذا الخطأ إذا قرأ الفصل السادس من الجزء الأول من كتاب جوزف عن حياة فرويد ، وهو مخصص لأبحاث فرويد في الكوكايين وما ارتبط بها من الأحداث . ومنه نعلم أيضاً أن « الصديق العزيز » المشار إليه هو فلايشل فون ماركسوف أحد معاونى بروكه في المعهد الفيزيولوجى الذى عمل فيه فرويد . ويجد القارئ فيما بعد إشارات أخرى متعددة إلى هذه القصة ، ص

خاصا . إنها تذكرني بمحادثة فاجعة وقعت لى فى أثناء القيام بمهنتى : فقد حدث مرة أنى كنت سببا فى أن أصيبت إحدى مريضاتى بتسم حاد ، وذلك بأن وصفت لها المرة بعد المرة دواء كان يعد فى ذلك الوقت لا ضرر منه (السيلفونال) ، وكان أنى هلمت إلى هذا الزميل الذى يكبرنى سنا وحنكة ، أتمس منه العون والسند . وهناك قرينة تؤيد أنى كنت أفكر حقيقة فى هذا الحادث : فقد كانت المريضة التى أودى السم بها تحمل اسم ابنتى الكبرى . وما فكرت قط فى هذا الاتفاق من قبل ، ولكنه يلوح لى الآن أشبه بقصاص من القدر ، لكأنما كان من الحتم أن يواصل تبديل الأشخاص بعضهم ببعض فى تلك الوجهة الأخرى : ماتيلدا هذه بما تيلدا تلك ، عين بعين وسن بسن . إنه ليبدو أنى كنت أتمس كل مناسبة أستطيع أن أؤنب بها نفسى على افتقارها إلى الضمير الطبى .

الدكتور م . شاحب الوجه ، حليق الذقن ، يعرج فى مشيته . جانب الصدق فى ذلك هو أن الدكتور م . كثيرا ما يثير مظهره المعتل قلق أصدقائه . وأما السمتان الأخريان فإنما تصدقان من غير شك على شخص آخر : إنى أذكر هنا أخى الأكبر الذى يعيش فى الخارج ؛ فهو حليق الذقن ، وإذا لم تكذبى الذاكرة فقد كان م . الحلم يشبهه . وكنا قد علمنا قبل الحلم بأيام قلائل أنه كان يعرج فى مشيته لالتهاب مفصلى فى أعلى فخذه اليسرى . ولا إلا أرى أن تمت سببا من أجله أدمجت فى الحلم الاثنتين فى واحد : وإنى لأذكر بالفعل أنى كنت واجدا على كليهما لأسباب متماثلة ؛ فكلاهما قد رفض اقتراحا كنت عرضته عليه .

صديق أوتو يقف الآن بجانبنا يفحصها صديق ليوبولد ويكشف عن منطقة صماء فى أسفل الجانب الأيسر . إن صديق ليوبولد طبيب كذلك وله بأوتو قرابة . وقد شاء القدر إلا أن يكونا غريمين ؛ فقد سلكا اختصاصا واحدا وكانت لمفاضلة بينهما لا تنقطع . وقد عاونى كلاهما بضع سنوات حين كنت أدير مستشفى خاصا بالأمراض العصبية للأطفال وكانت تقع هناك مشاهد شبيهة بالذى يقع فى الحلم : فبينما كنت أنا أقش أوتو إحدى الحالات كان ليوبولد يعود إلى فحص الطفل المريض ثم يخرج بجديد يكون له أثره الحاسم فى قرارنا . وكان بين الاثنتين من التباين فى الطبع مثل ما بين المفتش برازيج وصديقه كارل^(١) : فأحدهما قد عرف بحضوره وتوقده ، وأما آخرهما فبطيء ، لكنه

(١) [شخصيتان رئيستان فى رواية كتبها فريش رويتر (١٨٦٢ - ١٨٦٤) وكان لها ذبوع عظيم

لا يترك كبيرة ولا صغيرة . وجلى أننى إذ أفاضل فى الحلم بين أوتو وليوبولد الحنذر فلإنما أبتغى من وراء ذلك إعلاء ليوبولد؛ فالفاضلة بينهما أشبه بها بين مريضتى العصبية إرما وبين صديقتها التى كنت أراها أكثر رجاحة . وهأنذا الحظ الآن أحد المسالك التى عرج عليها تداعى الخواطر فى الحلم : من الطفلة المريضة إلى مستشفى الأطفال وأما المنطقة السماء بأسفل الجانب الأيسر فيخيل إلى أنها تطابق فى كل تفاصيلها حالة ماثلة أدهشنى فيها ليوبولد بدفته . وبذهنى أيضا فكرة مبهمة ، هى أن هذا الكدر ربما كان وليد سروح مرضى^(١) . ولعل فى هذه الفكرة ما يلمح كذلك إلى الصديقة التى كنت أود علاجها بدل إرما ؛ فقد ظهرت من هذه السيدة - بقدر - ما وسعنى الحكم - أعراض تحاكى الدرن .

رقعة مرتشحة من الجلد على الكتف الأيسر . أرى على الفور أن المراد هنا هو الرومازم الذى أعانيه فى كنى نفسى والذى لا أسهر ليلة حتى ساعة متأخرة إلا أحسسته . وإن الطريقة التى ركبت بها عبارة الحلم نفسها لتسم هى أيضا بالاشتراك^(٢) إلى أبعد حد : « وهو ما ألحظه مثله . . . » ، ألحظه فى جسمى نفسى - هذا هو المقصود^(٣) . ويتبادر إلى ذهنى عدا ذلك كيف يخرج هذا التعبير : « رقعة مرتشحة من الجلد » عن المؤلف ؛ فقد كان من عادتنا أن نقول : « ارتشاح بأعلى اليسار خلفا » - وهو ما يشير إلى الرثة فإلى الدرن مرة أخرى .

على رغم الرداء . هذه الكلمات لا تخرج على التأكيد عن أن تكون إضافة ثانوية ؛ فنحن بالطبع كنا نفحص الأطفال فى المستشفى وهم مجردون من ثيابهم ، على عكس ما يجب اتباعه عند فحص النساء . وأذكر أنه كان يروى عن أحد الأطباء المشهورين أنه كان يجرى الفحص الجسمى لمرضاه من خلال ثيابهم . وأما فيما عدا ذلك ، فلست أتميز شيئا . والصراحة هى أننى لا أريد التعمق فى هذا الموضوع .

يقول الدكتور م. إنها عدوى ، ولكن ذلك ليس بشئ ، سوف تغلب الستتاريا وينطرد السم . ذلك ما يبدو لى شيئا مضحكا للوهلة الأولى . ولكن لا بد مع هذا من تحليله تحليلا مستوفى ،

(١) [انتقال العلة من عضو لآخر .]

(٢) [اللفظ المشترك هو ما كان له معنيان .]

(٣) [والانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثانى يسهله فى الألمانية لعب بالألفاظ يضع عند الترجمة ؛

لأن Wie er spüre (بمعنى " ألحظه مثله ") لا يكاد يختلف فى النطق من verspüre (بمعنى " أحسه ") .]

شأنه شأن غيره . وإنى لألح فيه ضربا من المعنى إذ أقرب النظر إليه . فالمرض الذى اكتشفته بالمریضة كان التهابا دفتريا بالحلقي . وإنى لأذكر مناقشة دارت أيام مرض ابنتى حول العلاقة بين الالتهاب الدفتري الموضعى والدفتريا ؛ فالأخيرة هى العدوى المعممة التى تنشأ من الدفتريا الموضعية وكان ليوبولد يستدل على مثل هذه العدوى المعممة من وجود المنطقة الصماء التى يصبح تبعا لذلك أن نعدّها ناتجة عن السروح المرضى . وأما أنا فكنّت أعتقد أن مثل هذا السروح المرضى لا يقع فى الدفتريا ، بل هو يذكرنى على الأكثر بالحمى الصليدية .

ذلك ليس بشئ . إن المراد هو العزاء . وأما وجه الحاجة إلى العزاء فى هذا المقام ، فهو الآتى : لقد كان مضمون الجزء السابق من الحلم أن مريضتى تشكو آلاما ترجع إلى علة عضوية خطيرة ، وبهياً إلى أنى إنمّا كنت أبتغى من وراء ذلك أن أصرف اللوم عن نفسى ؛ فالعلاج النفسى لا يمكن أن يُسأل عن دوام آلام دفترية ، ولكن ينغصنى مع هذا أن أكون اخترعت لإرما مثل هذه العلة الخطيرة لالغاية سوى أن أبرئ نفسى ؛ فى هذا تظهر القسوة كل القسوة ، وأنا إذن بحاجة إلى من يؤكد لى حسن العاقبة ، وأخال أنى لم أسئ الاختيار حين أجريت العزاء على لسان الدكتور م . بالذات . بيد أنى أسمو بنفسى فوق الحلم فى هذا الموضع ، وهذا نفسه يحتاج إلى إيضاح . ثم لماذا صيغ العزاء فى هذه العبارة المجردة من كل معنى ؟

الاستتاريا : أسرحُ إلى ضرب من فكرة نظرية غامضة فحواها أن المواد السامة يمكن أن تطرد من طريق الأمعاء . أيبكون أنى أريد أن أهزأ بنحضب الدكتور م . فى تصور التعليلات المستبعدة وإنشاء العلاقات المرضية غير المتوقعة ؟ إن الاستتاريا تذكرنى أيضا بشيء آخر : فقد عنيت منذ بضعة شهور بشاب كان يعانى متاعب عجيبة تتعلق بالتبرز ، عاجلها زملاء آخرون على أنها « فقر دم مع تغذية سيئة » . وأدركت من جانبي أن الأمر يتعلق بحالة هسترية ، بيد أنى لم أرد أن أجرب معه علاجى النفسى ، وأرسلته فى رحلة بحرية . وحدث قبل الحلم بأيام أنى تلقيت منه خطابا يائسا من مصر جاء فيه أن نوبة جديدة ألمت به هناك وأن الطبيب أعلن إليه أنها الاستتاريا . وأكبر ظنى أن هذا التشخيص خطأ أنزلت إليه زميل غير عليم ترك الهستريا تمكّر به ، ولكنى لأستطيع مع ذلك أن أجنب نفسى اللوم على أنى جعلت المريض فى موقف قد تُصاب منه أمعاؤه بمرض عضوى فوق

مرضها المسترى . وفوق ذلك فلفظ « دستريا » يشبه في الجرس « دقريا » - وهو اسم نحس لا يعرض ذكره في الحلم .

نعم ، هو هذا من غير شك : إننى أسخر من الدكتور م . إذ أجرى على لسانه هذه النبوءة المعزية : سوف تعقب الدستاريا . . . إلخ . فأنا أذكر أنه نفسه - قبل ذلك بسنوات - قد روى مرة وهو يضحك قصة جد مماثلة عن زميل من الزملاء : فهو - أعنى الدكتور م . - قد دعى مرة ليتشاور وهذا الزميل فى شأن مريض اشتدت به العلة اشتدادا خطيرا . وأحس الدكتور م . أن الواجب يقتضيه أن ينبه زميله - وكان يبدو جم التناؤل - إلى أنه قد وجد ببول المريض مادة الألبومين . ولكن الزميل أبى أن يابه لذلك وأجاب هادئا : « ذلك ليس بشيء يا سيدى العزيز ، فلسوف ينطرد الألبومين سريعا ! » وهكذا لا أملك التشكك بعد الآن فى أن هذه الفقرة من الحلم تحوى فى طياتها استخفافا بالزملاء الذين لا يعلمون أمر المستريا . وما هى ذى فكرة أخرى تجول الآن بخلدى كأنما أريد بها أن تؤيد هذا الرأى : أيعلم الدكتور م . أن الأعراض التى تشكوها مريضته صديقة لإرما - التى تحلوه إلى خشية السل ، إنما تنبعث هى أيضا من المستريا ؟ أتراه فضح المستريا ، أم تراها « ضحكت عليه » ؟

ولكن أى دافع يدفعنى إلى أن أسئ إلى هذا الصديق كل هذه الإساءة ؟ الجواب هين : ذلك أن « الحل » الذى أرتأيه لإرما لا يلقى من قبول الدكتور م . إلا ما يلقاه من إرما نفسها . وهكذا أكون انتقمت فى هذا الحلم من شخصين : من إرما حين أقول : إذا كنت ما زلت تتألمين ، فالذنب ذنبك أنت ، ثم من الدكتور م . بمنطوق العزاء المحرد من المعنى الذى وضعته على شفتيه .

إننا نعلم أيضا علما مباشرا من أين نشأت العلوى . هذه المعرفة المباشرة فى الحلم مدعاة إلى العجب ؛ فما كنا نعلم من أمرها شيئا منذ هنية ، إذ كان ليوبولد أول من اكتشف وجود العلوى .

سقتها صديق أوتو منذ قريب حين سامت صحتها يوما . لقد روى لى صديقى أوتو حقيقة أنه قد استدعى يوما فى أثناء إقامته القصيرة مع أسرة إرما إلى فندق مجاور ليحظن شخصا ساءت صحته فجاءة . وتذكرنى الحظن مرة أخرى بصديقى التعس الذى سم نفسه بالكوكابين . لقد كنت أوصيته باستعمال هذا الدواء من الباطن فحسب [أى من طريق الفم] بعد

ابتداء التخلص من المورفين ، ولكنه باذر إلى حقن نفسه بالكوكايين .

مركب من البروبيل... بروبيلين... حامض البروبيونيك . كيف اتفق لي التفكير في ذلك ؟ لقد حدث في الأمسية السابقة - قبل أن أكتب تاريخ الحالة المرضية ويأتيني هذا الحلم - أن فتحت زوجتي زجاجة شراب كعب عليها « أناناس » (١) وكانت هذه الزجاجة هدية من صديقنا أوتو ؛ فقد كان من عادته أن ينهر كل مناسبة لكي يوزع هداياه ، والأمل أن يرزق يوماً بزواج فيبراً من هذه العادة (٢) . وكانت تفوح من هذا الشراب رائحة زيت الفوزل ، حتى أنني امتنعت عن مذاقه . وخطر لزوجي أن تعطى الخدم هذه الزجاجة ، ولكني كنت أكثر حذراً منها ، فأجبتها بهذه الملاحظة الإنسانية : هم أيضاً لا يجب أن يتسمموا . وجلي أن رائحة زيت الفوزل (أميل...) قد استدعت هذه السلسلة كلها : پروبيل ، ميتيل ، وما إليها - وهو ما يعلل ورود مركب البروبيل في الحلم . صحيح أنني أجريت هنا بعض التبديل ، فحلمت بالبروبيل بعد أن شممت الأميل ، ولكن مثل هذه التبديلات قد تجوز في الكيمياء العضوية بخاصة .

تريمتلاين . لقد رأيت في الحلم المعادلة الكيميائية لهذه المادة ، وهو ما يشهد بمجهود عظيم من جانب ذاكرتي . ثم إنى رأيتها مطبوعة بحروف سميكة ، كأنما أريد أن ينص لها على أهمية خاصة في هذا السياق . فلإلام يسوقى التريمتلاين الذي يفرض على انتباهي على هذا النحو ؟ إلى حديث دار يوماً بيني وبين صديق كان يعلم كل شيء عن مؤلفاتي وهي في طور النمو كما كنت أعلم منه المثل (٣) . ففي خلال هذا الحديث أفضى إلى صديق بأراه في كيمياء العمليات الجنسية وكان بين ما ذكره لي أن التريمتلاين - على ما يعتقد -

(١) وهناك بعد ذلك جناس ملحوظ بين " أناناس " واسم عائلة مريضتي إرما .

(٢) [هامش أضيف في عام ١٩٠٩ ثم حذف ابتداء من عام ١٩٢٥ :] لم يكن الحلم نبيا من هذه الناحية ، ولكنه كان كذلك في ميدان آخر : فالإلام التي كانت تعانها مريضتي إرما " من غير حل " والتي كنت حريصاً كل هذا الحرص على ألا ألام عليها قد ثبت أنها كانت العلام الأولى على اضطراب خطير فاجم عن حسوة في كيس الصفراء .

(٣) [الصديق الذي تذهب إليه هذه الإشارة هو فيلهلم فليس ، وكان أخصائياً في أمراض الأنف والحنجرة في مدينة برلين ، ولكن اهتماماته شملت ميدان علم الحياة بأجمعه ، وكانت له في هذا العلم نظريات أقل ما يقال عنها هو أنها كانت تتسم بالفراية . ولكي تعرف شيئاً عن هذه النظريات وعن صلة صاحبها بفرويد وأثره في حياته ، فلا معنى عن قراءة رسائل فرويد إليه التي نشرت أخيراً مع مقامة كتبها إرنست كريس (فرويد ١٩٥٠ أ) . هذا وسوف يكثر ذكر هذا الصديق في خلال الصفحات القادمة ، دون الإشارة إلى اسمه أو مشاراً إليه بحرف الفاء .]

أحد المواد الناتجة عن الميتابوليزم الجنسي . وهكذا تسوقى هذه المادة إلى الحياة الجنسية ، وهي العامل الذى أعزوا إليه أكبر الأهمية فى نشوء الاضطرابات العصبية التى أروم علاجها . ومريضتى إرما أرملة فى مقتبل العمر ؛ فلو سُئلت عن أوبرر به إخفاق علاجى ، ما وجدت خيرا من الاحتجاج بهذا الوضع الذى يود أصدقائها لو تغير . ولكن يا للعجب لتركيب مثل هذا الحلم ! فالمرأة الأخرى - تلك التى جعلتها مريضتى بدل إرما - أرملة شابة هى الأخرى .

إنى أحذر الآن لم أبرزت معادلة التريمتيلامين كل هذا الإبراز فى الحلم ؛ فكم من أمور ذات بال تلتقى فى هذه الكلمة الواحدة ! إن التريمتيلامين لا يشير إلى الحياة الجنسية بسلطانها الغلاب وحسب ، إنه يلمح فوق ذلك إلى صديق يسعدنى أن أذكر تأييده كلما أحسست عزلتى الفكرية . وصديقٌ هذا شأنه فى حياتى ، ألا يكون من المحتوم أن يتردد فى الحلم ذكره ؟ نعم ، إن له إلاما خاصا بعواقب أمراض الأنف وجيوبه . وهو قد كشف للعلم عن علاقات جديدة بأكبر الإعجاب بين خياشيم الأنف وعضو الإنسال عند الأنثى (الزوائد الثلاث المتجمعة فى حلق إرما) . ولقد جعلته يفحص إرما مرة ليرى هل كان لأوجاع المعدة عندها أصل أنثى . ولكنه نفسه يشكو التهابا صديديا فى الأنف يشير القلق فى نفسى ، وإلى هذا توى من غير شك الحمى الصديدية التى طاف ذكرها بخلدى فى صدد السروح المرضى المذكور فى الحلم .

إن الإنسان لا يقدم على مثل هذه الحقن بمثل هذه الخفة . هنا يوجه اللوم على الخفة إلى صديقى أوتو مباشرة . وأعتقد أن خاطرا من هذا القبيل قد طرأ لى بعد الظهر حين خيل لى من كلماته ونظراته أن يتعصب على ، كأنما قلت : ما أسهل التأثير فيه ! بأى خفة يرسل أحكامه ! - وفوق هذا ، تذكرنى هذه الحملة من جديد بصديقى المتوفى الذى التجأ إلى حقن الكوكاين من غير تروء ؛ فما فكرت على الإطلاق - كما قلت من قبل - فى أن يأخذ هذا الدواء حقنا . وألاحظ أيضا أننى إذ ألوم أوتو على نزقه فى استخدام المواد الكيميائية ألس مرة أخرى قصة ماتيلدا التعسة ، وهى القصة التى تعرضنى لهذه المؤاخذة عنها . وجلى أننى أجمع هنا الشواهد على حساسية ضميرى ، ولكنى أجمعها أيضا على العكس .

وأغلب الظن أن الحقنة لم تكن نظيفة كذلك . ذلك لوم آخر يوجه لى أوتو ، ولكنه

لوم مختلف المصدر. فقد اتفق أنى قابلت فى اليوم السابق ابن سيدة عجوز فى الثانية والثمانين من عمرها، كنت قد كلفت بحقنها حقتين من المورفين كل يوم. وكانت السيدة تقيم فى الريف حين قابلت ابنها. فأخبرنى أنها تعاني التهابا وريديا. فخطر لى على الفور أن الأمر ربما كان ارتشاحا نجم عن محقنة قنرة. فقد كان من أسباب فخارى أنى لم أسبب لها ارتشاحا واحدا خلال ستين. فنظافة المحقنة هى هى الدائم: إننى - وذلك هو بيت القصيد - ذو ضمير. وتعود بى الذاكرة من الالتهاب الوريدي إلى زوجى الذى اشتكت مرة من انسداد وريدى أصابها فى إحدى فترات الحمل. وهنا تمثل فى ذاكرتى ثلاثة مواقف مماثلة مع زوجى وإرما وماتيلدا المتوفاة. وواضح أن تماثل هذه المواقف هو الذى خول لى فى الحلم بتبديل هذه الوجوه الثلاثة فيما بينها.

• • •

الآن أكملت تفسير الحلم^(١). وكنت وأنا ماض فى هذا التفسير أجهد ما استطعت فى تجنب الأفكار التى لم يكن مفر من أن توحىها المقارنة بين محتوى الحلم والأفكار الكامنة وراءه. وفى هذه الأثناء أشرق فى ذهنى «معنى» الحلم. لقد لحظت أن ثمت ماربا وأن هذا المأرب قد صار فى الحلم شيئا واقعا، وهو هو الذى كان لا محالة دافعى إلى الحلم. فالحلم يحقق بضع رغبات أثارها فى نفسى أحداث الأمسية السابقة: الأنباء المتلقاة من أوتو وتاريخ الحالة المرضية الذى دونته. وحاصل الحلم هو أنى برىء من شكاة إرما المستمرة؛ فإنما المذنب أوتو. والحقيقة هى أن أوتو قد أثار حفيظتى إذ أشار لإشارته إلى شفاء إرما شفاء غير تام. والحلم يثار لى إذ يرد اللوم إليه. ثم هو يعفىنى من كل مسئولية فيما عليه إرما إذ يرد حالها إلى عوامل أخرى - وهو يتبدع هنا طائفة كاملة من التعليقات. الحلم - إذن - يصور وضعا من الأوضاع التصوير الذى أحب: إن محتواه يحقق رغبة والدافع إليه رغبة.

كل هذا يفتح العين. ولكن تفاصيل الحلم كذلك يدنو الكثير منها للفهم إذا نحن نظرنا إليه من وجهة تحقيق الرغبة. فإنا لا أثار من أوتو لتعجبه فى التعصب على وحسب، راميا إياه بالتهور فى علاجه (الحقنة)، بل أثار منه كذلك للشراب الردىء الذى يفوح منه زيت الفوزل، وأجد فى الحلم تعبيرا يوحد الملامتين: حقنة من مركب البروپيل.

(١) وإن كان من المفهوم أنى لم أرو كل ما خطر لى فى أثناء عملية التفسير.

ثم لا يكفيني ذلك ، فأمضى في انتقامي ، فأفاضل بينه وبين منافس ثقة عنه ، كأنما أبتغى القول : إنه أحب إلى منك . ولست أصب جام غضبي على أوتو وحده ، بل أنتقم أيضا من مريضتي العاصية إذ أستبدل بها أخرى أعقل وأطوع . بل الدكتور م . نفسه لا أنسى له معارضته إيائي ، بل أريه بإشارة لا تخفى أنه لا يفقه من الأمر شيئا (سوف تعقب الدستاريا ... الخ .)) وإنه ليلدولي أنني أتحول عنه إلى حكم آخر أوسع معرفة ، مثلما تحولت من قبل عن إرما إلى صديقتها وعن أوتو إلى ليوبولد . لكأنني أقول : أبعدوا عنى هؤلاء الثلاثة وآتوني بثلاثة أنتقمهم من غيرهم ، ترتفع عنى هذه الملامات التي لا أريدها مستحقة ! ثم هذه الملامات ذاتها لا يلبث أن يساق البرهان في الحلم على بطلانها ، مسبها كأكثر ما يكون الإسهاب : فالأم إرما لا تقع على ، بل هي الملوثة ؛ لأنها ترفض حلي . ثم ما شأنى وآلام إرما وهي بطبيعة عضوية ، فلا يشفيها علاج نفسى ؟ ثم إن في ترميل إرما التعليل الكافي لدائها (التريمتيلامين !) ، ولا حول لى على تغيير هذا الوضع . ثم إن علة إرما قد ولدتها حقنة من مادة غير مناسبة ، لم يأخذ أوتو فيها بالحذر - وهو أمر ما كان ليصدر عنى قط . ومرض إرما - مثل الالتهاب الوريدي الذى أصاب مريضتي العجوز - منشؤه حقنها بإبرة قنرة ، وأنا الذى ما أضرت حقنه أحدا قط . ولا يفوتنى بالطبع أن هذه التعليلات لمرض إرما لا تتفق فيما بينها وإن اتفقت على تبرئتي ، بل إن كلا منها يمنع غيره . فالدفاع كله - فما هذا الحلم إلا دفاع - يُذكر برجل أتهمه جاره بأنه اقترض منه قدرا ثم أعادها بعد أن أفسدها . فأجاب الرجل بأنه قد أعاد القدر على خير حال - هذا أولا - ثم إن القدر - ثانيا - كانت مثقوبة حين استعارها ، ثم هو - أخيرا - لم يستمر شيئا على الإطلاق . والنفع في الإكثار : فلو لم تجز من حجج الرجل إلا واحدة ، لكفى ذلك أن يُجلى سبيله .

وفي الحلم فكر أخرى تشارك في بنائه دون أن تكون لها مثل هذه الصلة الواضحة برغبتي في أن أبرأ من مرض إرما : مرض ابنتي ومرض سميتها ، الأذى الذى جره الكوكابين ، إصابة مريضى المسافر بمصر ، قلقى على صحة زوجى وأخى وصحة الدكتور م . شكاياتي نفسى ، قلقى على صديقتى الغائب وهو يعانى الالتهاب الصديدي الأتني . ولكنى إذا نظرت إلى كل أولئك رأيتهم يجتمع في دائرة فكرية واحدة عنوانها : القلق على الصحة ، لنفسى ولغيرى ، الضمير المهين . وإنى لأذكر إحساساً أليماً غامضاً خابجنى حين أتانى أوتو بأبائه

عن إرما ، وفي مقدورى الآن - وقد سمرت هذه الطائفة من الأفكار التى كان لها فى الحلم نصيبها - أن أرجع إلى هذا الإحساس العابر فأثبتته فى كالم ، إني كنت كأنما أسمعهم يقول لى : أنت لا تأخذ تبعاتك الطيبة مأخذ الجد ، أنت لا ضمير لك ، أنت لا تنجز ما تعد . وكان أن واطنى هذه الطائفة من الأفكار لكى أتمكن بها من تبيان أى ضمير مرهف هو ضميرى ، وكم أحرص على صحة ذوى وصحة أصدقائى ومرضاى . وحرى بالملاحظة أن هذه المادة قد حوت كذلك أفكارا تؤيد اتهام صديق أوتو أكثر مما تبرئنى ، إنها مادة محايدة - إن جاز التعبير . ولكن هناك مع ذلك رباطا لا يخفى بين هذه المادة الأوسع نطاقا والتي ينهض عليها الحلم وبين الموضوع الأضيق الذى يعالجه هذا الحلم والذي نشأت عنه الرغبة فى البراءة من كل ذنب فى مرض إرما .

ولست أريد أن أقول : إني كشفت معنى هذا الحلم كشفا كاملا أو إن تفسيره يخلو من الثغرات .

لقد كان يسغنى أن أفرغ له مزيدا من الوقت وأن أخرج منه بمزيد من العلم وأن أناقش فى صدره مشكلات جديدة ما زال يثيرها . وأنا نفسى أعلم ما هى المواضع التى ينبغى تتبع المستدعيات الفكرية الجديدة ابتداء منها . ولكن توقفتى دون مواصلة التفسير اعتبارات تظهر فى ضد كل حلم . فإن أحس البعض بنفسه مسارعة إلى استنكار مثل هذا التحفظ منى ، كفاه أن يحاول غلبتى فى الصراحة . فأما أنا فأقنع فى الوقت الحاضر بتلك المعرفة المفردة الجديدة : إذا سرنا على منهج تفسير الحلم المبين فى هذه الصفحات ، رأينا أن الحلم له فى الحقيقة معنى وأنه بعيد غاية البعد عن أن يكون مظهرا لنشاط مخي متجزئ ، كما يريد المؤلفون : إذا تم التفسير تبين أن الحلم تحقيق رغبة (١) .

(١) [فى خطاب إلى فليس بتاريخ ١٢ من يونيو ١٩٠٠ يتحدث فرويد عن حياة الأسرة فى بلوى ثم يردف قائلا :

” أظن أن لوسا من المرمر سوف يملق يوما على هذا المنزل وقد نقشت عليه تلك الكلمات ؟ -

فى هذا المنزل ، فى ٢٤ من يوليو ، ١٨٩٥

كشفت سر الأحلام

للككتور سيجموند فرويد

إن الأمل فى ذلك يلوح ضعيفا فى الوقت الحاضر . » [